بريد الجمعة
أثراء المعارف الرقمية

يكتبه : عبدالوهاب مطاوع

الرجل الضعيف!

أكتب اليك هذه الرسالة استكمالا لموضوع سبق أن أن استشرتك فيه. وسوف أذكرك به. هنا بأسيدي زائر الليل الذي زارك في مكتبك منذ بضع سنوات بعد منتصف الليل. وروى لك انه نشأ في أسرة سعيدة لابوين متحابين ومتعاطفين وبين أخ واحد يحترمانني. وكنت سعيدت بنا رحلة الحياة ونحن لانزال حديثي عهد على زواجنا وعلى حياتنا وسياساتها لنا واهمها هو أن نتصاب فيما بيننا ونتحابب ونحترم دائما على علاقتنا الأخوية ببعضنا البعض. حتى تخرجت وتخرجت وتخرجت أختي التي تلبني في العمر وتزوجت. وتخرج أخي الأصغر وأصبر على أن يتزوج بعد تخرجه على الفور من رحلة له. ولم يعد من نصيبنا أبي وأمي ونصيحتي له أن يتروى قليلا ويصبر إلى أن يؤدي الخدمة العسكرية ويحصل عملا مستقرا. فلم يقتنع بأي نصيحة. وكانت حجته في ذلك أن رسالته هذه بلاحظها رجل اخر لها ويعرض عليها الزواج. ولم لم يبادر هو بالزواج منها على الفور حتى تقتنع بالآخر وتتزوجه. والواقع هو من سذاجة السبب لان من تريد انسانا لاتعدل به أبدا ولا انه أعدل حياة الجميع إلى جحيم وانهم الجميع بعدم الاهتمام بسعادته. حتى اضطر أبي وأمي أخيرا إلى الموافقة في خطوات الزواج. وقد غير حديثه بأسيدي. وقال وهو يفعل ذلك انه يعرف أنه جيدا ويعلم عنه انه يعتقد أن احتياجاته ومطالبه لابد أن تكون فوق كل الاعتبارات. ولم يعقد الفرلي. ومن الهوم الأول له بدأت مشاكل طويلة مع أسرتي التي تسببت أن معارضة أبي لزواجه منها تتعلق بشخصها هي وليس بعمر سنة وظروفه. فيدرت الجميع بالتحفظ والحساسية المرضية. وحاولت ولا كلمة أوإشارة تصدر منهم.. وأصبح كل رأي يبديه أبي بشأن خطوات الزواج مرفوضا من أخيه دون تفكير. حتى نفض أبي يده من الأمر كله وطلب من أخي أن يفعل بحياته ما يشاء دون الرجوع إليه. وأيدته في ذلك معرفة على العلاقات الأخوية والعائلية واقدمت أمي وأختي بذلك الكيد على عمله كما فعلت أنا وبعد انتهاء خدمته العسكرية استقر في الأسكندرية وأنجب أول أطفاله. ويعد بضع أعوام رحل أبي عن الحياة وترك لنا ميراثا بسيطا يعيشنا إلى جانب أعمالنا بحتى تجربة تقريبا. وتمثل الميراث بقطعة أراضي مساحتين صغيرتين من الأرض الزراعية في بلدة أبي أبعد الأخوة الشقيقة. وقد أخذ أخي الأصغر نصيبه في الأراضي في الجهة الغربية وبقاو في بلدتنا تمت تعليمه بدوبين إلى جانب معاشه لأمي. وبعد انتهاء الفراء بدأنا في إجراء تقسيم الأراضي. وقد وفيجئت بأخي الأصغر يعترض علينا بأنني بتعارض مع الشرع والقانون ويصر عليه إصرارا غريبا هو أن يأخذ نصيبه من الميراث كله في قطعة الأرض الشرقية. بحيث يستقل بها دونا.. وتقسم نحن بقية الميراث كما يعلم لنا. في حين يقتضي العدل أن نتقاسم كلنا قطعة الأرض الشرقية وقطعة الأرض الغربية والعقار. وأقسم بالله الشرع والقانون يعطيان هذا الحق لأخي وحده. وأنا أعلم أن أبي أوصى بالأرض الشرقية. بحيث يستقل بها دونا.. وقسمتم نحن بقية الميراث كما يعلم لنا. في حين يقتضي العدل أن نتقاسم كلنا قطعة الأرض الشرقية وقطعة الأرض الغربية والعقار. وأقسم بالله الشرع والقانون يعطيان هذا الحق لأخي وحده. وأنا أعلم أن أبي أوصى بالأرض الشرقية. برغم علمي وعلم الجميع أن قيمة الأراضي الشرقية أكبر لأنها أكثر خصوبة وسعة. كما أنها ملاصقة لأكثر من البلدة ومرشحة لأن تدخل زمام المباني فيها ذات يوم. بعكس الأراض الغربية. وبالرغم من هذا عرضت عليه ذلك أن أتنازل له عن حقي في الأرض الغربية رحمه. خاصة أن الفارق في قيمة الأرض ليس كبيرا إلى الحد الذي يجعلني أخسر أخي من أجله. لكنه رفض حتى هذا العرض وطالبني بما لا يملك وهو أن أقنع أخي بزوجها بأن يهدأ ما فعلت ولا نحن لانريد له ما يحقق مصلحته!

وبعدها جلسات عائلية عديدة.. وحكمنا بيننا الأهل دون جدوى. ثم فوجئت أن أخي يرفع بأن أمام مشايخ وسيوخ. السعة في بلدتنا يطلقني فيه بأن أخي سوف يطعن في قسمة الميراث أمام المحكمة ويدعي بأنها ظلمته. وأنني أنا الذي يزعم أن أبي تركه وراء. في البيت ولم نعطه نحن في الميراث لكي نحرمه من نصيبه فيه!

وأنا أقسم أمام الله أن هذا الادعاء. ويكيت حرفيا على أبي الذي كريم حياته لتربيتنا ورعايتنا وتطبيعنا المبادئ الدينية والأخلاقية وكافح طوال حياته لكي يوفر لنا الحياة الكريمة. وحبحت أمي وأختي وأنا وأنا وأنا وأنا نعم وقلت لهم أن أخانا قد باع حقه وحبه وطمع الميراث. لكنني لا أتصور أن أقف أمامه في المحكمة وأشهر أبي الذي أرى أبي الطيب في بلدتنا. وأتوسل إلى أخي أن يقبل بما رضيه أبي وأن لا حق له فيه. ووافقني الجميع على أن أعمل على رأب الصدع مع أخي بأكثر من تسليمنا جميعا بأن أعطيه نصيبه كاملا أن رجعته عن تعرضه على هذا الموقف العدائي منا

ولم يتنه الأمر عند هذا الحد كما كنت أتصور. فلقد راح كل بضعة أسابيع يثير مشكلة جديدة أمام المحكمة ويدعي بأنها ظلمته. وأنني أنا الذي أشيع على الأمر بأنه أخي الذي يعاني على الاستقامة له حتى أصبحت حياتنا سلسلة من الأزمات والتهديدات المحكمة. وكلما رأيت مصلحة بالتنازل عنها يطلب به العدل.. أزداد طلبا وافتعالا للمشاكل. حتى انتهى به الأمر إلى طلاقتي نهائيا ومطالبة أختي بزوجها. وأم حتى على صلة أبي بأمي وأبي بأمي التي يزورها من لحين لآخر في غيابنا. وإذا فاتحنا أبي فيلمحته لأخوته كان عليها وامتنع عن زيارتها حتى.

وبعد هذه الفترة رزقك الله من حكمتك.. ورويت لك القصة كلها وقلت لك إن زوجتي وبالرغم من أنها سيدة فاضلة وطيبة ومتدينة ولم تعارضني في التنازل عن حقي لأخي. وكانت على أتم الاستعداد لذلك من أضرار أصلحتني ومصلحة أطفالي. إلا أنها تقضي في نفس الوقت وأنني مخطئ معه وبالحق من الوقوف أمام رغبة أخي وإرادته. في حين تصر وتقول إنه يعرف هذا الضعف ويستغل على به وكما أراد شيئا ليس من حقه أو خطفت له زوجته وأنا أقف أمامه. كما قلت لي إنني فرطت في حقوق أبنائي وأسرف أخي على على ما فرطت في المستقبل حين يرتع أبناء أخي في العز.. ويعاني أبناؤنا مشاعب الحياة. وأذكر أنك سألتني عن تقديري للقيمة المادية لما تنازلت عنه من لأخي فأجبت أنها قد لاتتجاوز بضعة آلاف من الجنيهات ومثلها من أمي ولأختي لأن الميراث كله صغير في النهاية. لكن المشكلة أن تنازلي وتنازل أمي وأختي لم يحقق الغرض منه وهو الحفاظ على صلة الرحم بين الأخ. ولست حزينا على ما تنازلت عنه وإنما على الأسلوب الصحافي الذي يتبعه أخي معنا. وأضطر إلى تنادي الدفاع إلى الدفاع عن نفسي. فيه ظلم لي ولأختي وأمي.. وهذا هو ما تحتيره زوجتي ضحكها من جديد. فطلت أن من الرجال الضعاف من هم على شاكلة أخي. وأن من كمح جماح شهواته وأطماعه.. وأن القوة الحقيقية هي في الصبر على احتمال المكاره.. وفي التروع عن الصغار. وبهذا المفهوم فإن الرجل الضعيف في هذه القصة كلها هو أخي وأنا القوي الذي تخلى على شهوة الانتصار وشهوات الحصب والانتقام وترفعت عن أن أتازع شخصي أمام القضاء. حول عرض زائل من أعراض الدنيا.. صدوها عاد رب يحرص على صلة الرحم.. فإذا كانت تضحيتي لم تحقق غرضها.. فإن المسئول عن ذلك هو من باع رحمه وتعاليم دينه وربه بمتاع قليل ولست أنا.

وطلبت مني أيضا الا اخشى من أن تؤثر تضحيتي على مستقبل أبنائي لأن خير ما أتركه لهم هو مال مطهر من كل شبهة حرام وبمبارك الله سبحانه وتعالى فيه وبضاعة لهم أضعافا مضاعفة. ورويت لي قصة أحمد أبو عمر بن عبدالعزيز مع أبنائه الذين أتوا إلى قصره فقيرا. فتحظهم في أن يحول لهم العمال.. وخرجت من عنده مطمئن الضمير ورويت لزوجتي كل ما قلت لي وبشرتها بما بشرتني به. وتعاهدنا على الا نرجع للحديث في هذا الأمر مرة ثانية أبدا. وواصلت حياتي راضيا بما أتيح لي من أسباب الرزق من عملي ومن إيراد ميراثي القليل. ولم أكف عن محاولة استعادة صلة رحمي بأخي برغم جفائه وتحفظه.. وعدم تجاوبه معي.. وسافر أخي للعمل في إحدى الدول العربية مع زوجته وأبنائه. وترك توكيلا لسيدة وللمحامي المشهور لإدارة أرضه. ولم يفكر في أن يأتمنني عليها ولم أغضب لذلك.. لكني تحزنت فقط..

ومضت سنوات وهو لا يزورني.. لا يتصل بي ولا يأتمنني وبالسؤال عن والدته تطمئنني كل شهرين أو ثلاثة.. وأصبحت أشطر أخباره منها. فعرفت أنه قد شارك بحصيلة الغربة ضليعا جاء إلى أبنائه المشهور في مشروع لإنشاء مصنع للطوب. وتعبئة وتصدير الخضر والفاكهة في الأرض التي يملكها.. وأن المحامي خاض معارك طويلة للحصول على ترخيص بالبناء. في الأراضي الزراعية.. وبعد ٧ سنوات في الغربة رجع واستقر في مصر.. ثم فوجئت به ذات يوم يتصل بي ولا يذكرنا بعد فترة طويلة من الانقطاع.. ويرجو ديبكي ويذكرني أن أخي سافر إلى جانب الأرض. على سرفقته وأنهما تهيأ معا المبلغ الكثير الذي شارك به في رأس مال المشروع إلى جانب الأرض. يطالب مني السفر إليه في بلدتنا للتوقيع إلى جانب في هذه الكارثة لأنني أخوه وهو يحتاج إلى مسرورة إحضار المحامي الذي أتعامل معه من القاهرة معه.

وسمعت ورجعي العصبة كلها وسبحت.. وعدا: لم يذكر أنه أشوة سوى الآن.. وإذا لم يلبها إلى صهوه الأخوة فإن أخي قبل على أرضه فوقك !

وطالبتني بالاعتذار عن عدم السفر.. والاكتفاء بترشيح المحامي لصوره أخي لكي يتفاهم هو معه. لكني لم أستطع أن أعمل ذلك برغم تسليمي بحجة كل مطالبته بحضور المحامي أن يستعطيني في زيارة للبلدة للاطلاع على الموقف وسافرنا معا.. وعقدنا اجتماعات وجلسات مع شريك أخي الشريك قد أستولى على ثلاثة أرباع المبلغ الذي دفعه أخي في رأس المال ويزعم أنه قد أنفقه كله في إنشاءات المصنع الذي لم يكتمل وهو يرفض الآن استكماله إلا إذا دفع أخي مبلغا جديدا آخر وبهذا ولا ذلك فأمامه المحاكم.. وليت الأمر اقتصر على ذلك بل إن هناك أيضا ديونا للمشروع وبكميات مزعومة من أموالاه. وبعد أن أنفقه ولا كان السجن مصيره ! وقد أعد المحامي المشهور للشريك اللص كل شيء ودعم كل مزاعمه بالمستندات والمستندات وأصبحت هناك ثغرة واحدة يمكن استغلاص الحق منها !

وبعد مداولات ومساوات للتوسط بين الطرفين اقترحت سيدة شهيد تصير. وهو إنسان مستقيم أخي بالا يستمر في النزاع لأنه سيخسره وسيضاعف من خسائره وأن يقبل العرض المقدم من شريكه بأن يشتري نصيبه في المشروع والأرض وأن يقام عليها مقابل مايزعمان أنهما قد تحملاه من تكاليفه وديونه ! بمعنى أن يوقع على بيع نصيبه بالمشروع والأرض لذلك يصرف عن مالكه بقوة حياته.. والمشكلة الوحيدة هي أنه فقد ذاكرته فنسي كل شيء عن ماضيه ما عدا الحادث الذي تعرض له كما أصبح

لي حفيد عمره ٥ سنة وهو شاب لطيف وطويل ووسيم ورياضي الجسم.. ويقيم مع والده في انجلترا وقد اشتري له والده سيارة لمشاوير ذات يوم أثناء قيادته لها في أحدى الفرق لمحصها الأمن الميكانيكي الانجليزي وبط الشرائط بعد تركيبها.. فكانت النتيجة أن ركبها حفيدي وفاجر الفرملة فاصطدم سيارة لوري واصيب أصابات شديدة في الرأس وأجريت له عدة عمليات للمشكلات وشفي من إصابته والحمد لله. وحكم له بتعويض كبير وضع تحت إشراف جهة مختصة بذلك. فلقد أصبح له مورد ثابت يكفيه طوال حياته.. ولكنه رأيت